

LIBERTE, EGALITE, FRATERNITE

رسالة من السيدة علياء رياض الصلح

عزيزي الرئيس شيراك.

أهلاً بك والحمد لله على سلامتك.

سلامتك حقاً لأنك لم تمر على الجمارك، فلو فعلت لصودرت جميع أوراقك فهي تحمل شارات لمواد باتت كلها ممنوعة في لبنان: [LIBERTE, EGALITE, FRATERNITE] حرية، مساواة، اخاء.

واحسرتاه عليها كلها. وهذه لم تكن لنا ممارسات أخلاقية فحسب بل حجر أساس ومواد بناء، شُيّد عليها ومنها لبنان، لبنة لبنة، حتى شمع البناء وأصبح مناراً يضيء ميناء الأمان لكل زورق هارب من ظلم ولكل سابع منهك من استبداد.

كره الظالمون أنوارنا الكاشفة لعيوبهم وتوعدنا المستبدون فحفروا لنا الحفر ونحن في غيبوبة وانبهار مما نحن عليه من عزّة ونعمة، فكانت ساعة التخلي التي طمست أبصارنا وبصيرتنا فوقعنا وكان ما كان.

مسيو شيراك.

لا تظنها القيامة بعدما التهمت القبور [LIBERTE, EGALITE FRATERNITE] حرية، مساواة، اخاء.

ولا يغرّك ما رأيت من حياة برلمانية ومظاهر عمرانية، فما هي إلا ذرّ رماد.

والحقيقة أننا بلد محكوم من غير حكامنا وقد حكم علينا بالزوال.

ولنبداً القصة من أولها ولن نطيل عليك. بعض الهنات الهيئات تنبيك عما نحن غارقون فيه من أحزان.

ولن نقلب عليك عيد الفرنكوفونية فنجعله مجلس عزاء. لكنك مسيو شيراك لم تأت الى بلدنا لتطمئن ان

كانت نظيرة ما زالت تنادم نسيمة بالفرنسية وان كان حنا ما زال يرصع خطبه حتى العربية منها بأقوال

لفولتير وروسو وان كانت حنينة ما زالت "تدب ولي" على "بؤساء" فيكتور هوغو بالفرنسية، وان كان

أخيراً لا آخراً قد لحق محمد وعلي بالركب وتشعلقا بشاعرية لامارتين ورامبو ومالارميه. وملاحظة

صغيرة هنا، وان كان زميلك أو حتى صديقك والثالث الذي بينهما لن يعطوك الفكرة السليمة عن سلامة

لغة موليير في بلادنا، فعليك بالغسانين غسان الكاتب وغسان الوزير فتزول عنك الغمّة وعن

الفرنكوفونية الاحباط.

ولكنك لم تأت لأجل هذا فقط. فللغة الفرنسية خصوصية وهي تحمل جمالاً يستهوي وقيماً يُستهدى بها.

أولها حرية: LIBERTE.

أصبحت الحرية في بلد الحريات مضطهدة، وكأنها الكفر والزندقة. والقائل بها مطارد بالهراوات

وخراطيم المياه، وان هو أمعن طعن بشرفه ووُصم بالعمالة لاسرائيل وانتهى أمره في السراييب.

والحرية في لبنان لم تعد خياراً فأنت ذليل وإلا عميل.

وثانيها مساواة: EGALITE.

قلت في خطابك بالامس متوجها اليها: لا تتركوا فرداً منكم على قارعة الطريق. ونقول لك ان الشعب اللبناني في مجموعه أصبح على قارعة الطريق يتفرج على قلة مترفة متفردة بالارزاق والافراح. لبنان الذي كان بلد الآمال المتساوية لانفتاحها على الأفق الطامح والجهد المانع أضحى جزيرة من فجور البذخ والترف في بحر من الفقر والعوز والحرمان. وأسدلت الستائر على الآمال والجهود والمساواة.

مسيو شيراك، خذُ سيارة متواضعة، لا سيارة زميل ولا صديق، وتدرّوشْ وامشْ في الطرقات بعد الغروب واقترب من نفايات الفنادق وحتى المستشفيات ترى رؤوساً تنكبّ عليها بحثاً عن طعام، وقل على المساواة السلام. أدخل البيوت وسلّ الأمهات كم من الأبناء رحل عن صدورهن وعن الوطن بعدما أوصدت أبواب الرزق وكان الناس يأتون اليها ليرتزقوا.

ثالثها إخاء: FRATERNITE.

الإخاء بات محرماً علينا لأنه عماد لبنان الحي القائم.

ولبنان ليس وطناً كبقية الاوطان، أي أرضا يعيش عليها شعب. ان لبنان هو شعب أولاً بنى على التآخي ووطناً، وأثبت من التعددية سنابل الخير الحضاري والثقافي. هذا هو الميثاق الوطني - حجر الاساس في البنيان اللبناني - وقد حرفوه وجعلوه تقاسم الارزاق الذي يفرّق الأعناق حتى تُقطع فيسقط ويزول الوطن.

مسيو شيراك.

[LIBERTE, EGALITE, FRATERNITE]

قيل لنا لا تنشروا الغسيل الوسخ أمام الغرباء، ولكن لم يبق لنا غسيل يُنشر سوى هذا الشرشف الابيض كلمة الحق والحقيقة نلوح بها لمن يريد ان يسمع.

جريدة النهار ٢٠٠٢/١٠/١٨